الدكتور أبو بكر صالح البابكري لـ (الأدب الإسلامي)

لا توجد نظريات نقدية خاصة بأقوام أو أجناس بشرية

د . البابكري

أعد الحوار / محمد أحمد حسن فقيه .

قضايا الأدب بحر لا ساحل له . وكل يوم توافينا الأخبار والتحقيقات بمذاهب أدبية تظهر وأخرى تندثر. ومع الثورة المعلوماتية التي يعيشها العالم أصبح وضع الأدباء الإسلاميين والعرب في وضع لا يحسدون عليه . وعن أهمية الأدب ودوره في الحياة في ظل المذاهب المتكاثرة وعن قضايا أخرى متشعبة قد تثير التأييد أو الاختلاف كان لنا هذا اللقاء مع الدكتور / أبو بكر بن صالح البابكري عضو الرابطة والرئيس السابق للمكتب الإقليمي للرابطة في اليمن

باكثير والمسرح

● كانت رسالتكم للدكتوراه عن مسرح الأديب الكبير علي أحمد باكثير . لماذا المسرح ؟ ولماذا باكثير؟

■ الدراسات النقدية في المسرح العربي قليلة، والمتخصصون في ذلك أيضاً قلة، وليس الأمر في الشعر والقصة كذلك. أضف إلى ذلك أن المسرح وسيلة إعلامية خطيرة لتثقيف الجمهور وهي الوسيلة الفنية الوحيدة التي تتصل بالجمهور مباشرة في صالات العرض المسرحي، وليس الغناء كذلك . لأنه تلحين للشعر الغنائي الذي يتعالى فيه صوت الشاعر على صوت الجمهور، بينما المسرح أدب موضوعي يتوارى فيه الكاتب ويتقدم الفعل ليفعل في جمهور المسرح ما شاء الله أن يفعل من مثاقفة وسلوك يصل أحياناً إلى تحريض الجمهور على الثورة . وحمل السلاح كما كان يفعل مسرح (بريخت) في ألمانيا .

هذه الأهمية الإعلامية للمسرح هي التي جعلت باكثير يتحول من ساحة الشعر إلى ساحة المسرح ، وخاصة في مطلع الأربعينات من القرن الماضي حين بدأ الحراك السياسي لمقاومة المحتل . وبدأ الغزو الشيوعي، والتآمر على فلسطين وهذا ما جعلني أختار مسرح باكثير دون غيره لأنه مسرح مقاومة ويقدم رؤية إسلامية في عالم المسرح تدعو إلى مقاومة الظلم والطغيان . ويفضحهما في الماضي والحاضر . ويحذر منهما في المستقبل . ويدعو إلى العدل الإسلامي كما تحقق في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه كطريق واضح للمسلمين اليوم الذين شرقوا وغربوا بحثاً عن العدل وهو بين أيديهم يقودهم إلى قيادة العالم بدلاً عن قيادة الآخرين لهم.

وما يميز مسرح باكثير الرؤية الإسلامية الملتزمة التي جعلته رائد المسرح الإسلامي المعاصر ، ثم التنوع الفني الذي - من وجهة نظري - تفوق فيه على توفيق الحكيم . فباكثير كتب المسرحية الطويلة (ملحمة عمر) في تسعة عشر جزءاً ، وثلاثية الحملة الفرنسية . والتمثيليات القصيرة : المسرحية منها والإذاعية . وليس للحكيم من ذلك إلا المسرحية العادية التي تتكون من فصلين أو ثلاثة وتقدم في ليلة واحدة . كذلك كتب باكثير المسرحية الشعرية بأنواعها الثلاثة الغنائية والأوبريت والشعر المرسل ولم يكتب الحكيم في ذلك شيئاً .

● ما عوائق ازدهار المسرح الإسلامي؟

■ لا يكتب الكاتب المسرحي إلا وعينه على خشبة المسرح . ولكي يزدهر النص المسرحي أولاً ينبغي أن توجد فرق مسرحية إسلامية ترحب بهذه النصوص بل تتسابق للفوز بها . فالمسرح بناء متكامل يبدأ بالنص المكتوب ليمر بالمخرج المسرحي فالفرقة

المسرحية لينتهي بالعرض المسرحي للجمهور ، لذلك يحتاج المسرح الإسلامي لكاتب النص وللمخرج وللفرق المسرحية والجمهور أيضاً.

وثمة معوقات أخرى تحتاج إلى اجتهاد خاص لفقهاء الإسلام كتمثيل المرأة أو دور المرأة الذي يقوم به الرجل . لماذا تلقى الجمهور الأفلام الإسلامية كعمر المختار وصلاح الدين والمسلسلات كالرسالة والطريق إلى القدس بالإيجاب رغم حضور المرأة فيها ، لماذا لا يكون الأمر كذلك في المسرح ؟ لماذا التفرقة بين الصحابة؟؟!!، فيسمح بظهور بعضهم في السينما كخالد بن الوليد وأبي عبيدة رضي الله عنهما ويمنع ظهور الخلفاء ؟ هل ثمة دليل شرعي على عدم الجواز ؟ إنها أسئلة تطرح نفسها وتبحث عن إجابة ، وآن الأوان للفقهاء أن يلتفتوا إلى ساحة الفن الإسلامي عموماً : مسرح وسينما وتلفاز وأناشيد ورسم وغير ذلك.

وظيفة النقد الأدبي

● ما الوظيفة التي يؤديها النقد الأدبي ومتى تكون أحكامه عادلة؟

■ لقد تجاوز النقد الحديث تلك المقولة القديمة القائلة إن النقد من نقد النقود التي يعرف بها الجيد من الرديء ، فالنقد ابتداءً لا يتعامل إلا مع النصوص الجيدة ووظيفته ليست الحكم على هذه النصوص لأن هذه النصوص الإبداعية تترفع عن استقبال التقويم من خارج بنيتها ، وبمعنى آخر ترفض أي سلطة خارجية لقهرها أو التسلط عليها ، ولذا أدرك الناقد هذه الرغبة الجامحة لدى المبدع فأصبح يتحاور مع النصوص حوار الند للند ، يتفهمها ، يتغلغل في بنيتها ليشق طريقاً إبداعياً آخر في مجال النقد ، ومن ثم أرى وظيفة النقد الأدبي اليوم تتمثل في الإبداع النقدي كما هو الحال في الإبداع الأدبي ، وظيفة النقد هي البحث عن آليات جديدة ، وإجراءات جديدة تضيف شيئاً جديداً في دائرة الإبداع النقدي ، لم يعد الناقد يرضى بأن يكون عالة على من سبقه من المبدعين والنقاد

الدراسات النقدية في المسرح العربي قليلة، والمتخصصون في ذلك أيضاً قلة، وليس الأمر في الشعر والقصة كذلك.

ومادته في هذا التميز النصوص الإبداعية التي تعطيه من تميزها ما يتميز به في نقده.

● هل استطاع النقاد العرب والإسلاميون تأسيس نظريات نقدية خاصة ، أو مازلنا نتكئ على النظريات الغربية في النقد الأدبي؟

■ لا توجد نظريات نقدية خاصة بأقوام أو أجناس بشرية ، وإنما توجد نظريات تنسب لأشخاص أو لمجموعة من النقاد ليسوا بالضرورة من جنس واحد. والأدب العربي له نقاده من العصر الجاهلي إلى الآن ولكن للأسف لم نجد ناقداً واحداً ولا مجموعة من النقاد قدموا نظرية نقدية جديدة تضاهي النظريات العالمية ، وما زال النقد العربي عالة على النقد العالمي لأن الإبداع العربي هو الآخر عالة على غيره ولا سيما في القصة والمسرح ، وحين نجد إبداعاً عربياً عالمياً ربما نجد نقداً عربياً عالمياً ، قد نجد نقاداً مسلمين عرباً وغير عرب لهم شهرتهم العالمية لكن دراساتهم النقدية لم تقم على الأدب العربي وثمة فرق.

أعتقد أن النظريات النقدية تحتاج إلى رافد فلسفي ، وتغييرات اجتماعية كبرى، ونصوص إبداعية يتعالق فيها البعد الفلسفي مع التحول الاجتماعي وهذا ما لم يتوافر في الأدب العربي المفتقر لهذين البعدين العميقين.

إن المجتمع العربي تحولاته الاجتماعية والسياسية والفكرية والاقتصادية بطيئة جداً والأدب نتاج ذلك ولكن المستقبل يبشر بتحولات كبرى عربية وإسلامية سيكون لها تأثيرها الكبير في العالم جميعه وسيشارك الأدب والنقد في هذا التحول بإذن الله .

● إلى أي مدى نستطيع الإفادة من المناهج النقدية

وظيفة النقد الأدبي اليوم تتمثل في الإبداع النقدي كما هو الحال في الإبداع الأدبي، وظيفته البحث عن آليات، وإجراءات تضيف شيئاً جديداً في دائرة الإبداع النقدي.

الغربية وفق منهجية الأدب الإسلامي؟

■ علينا تنزيل المناهج النقدية الغربية على الأدب العربي فمنها ما يتقبله ومنها ما لا يتقبله، وأعتقد أن ثمانين بالمائة (٨٠٪) منها يتقبله الأدب العربي ولا سيما في الجانب الشكلي. هذه الأدوات النقدية الجديدة كالآلات الزراعية الحديثة تمكننا من إعادة حرث الأدب العربي قديمه وحديثه لاستثماره من جديد في كشف الرؤى الفنية العميقة التي عجز النقد القديم عن الوصول إليها، وأعتقد أن خطورة المناهج الغربية تكمن في إطارها الفلسفي المنفلت من الضوابط الدينية والخلقية، ومن عنده رؤية إسلامية واضحة لن يضره هذا الجانب لوضوح الحق لديه والباطل لدى غيره، وسيكتفي بنهل ما يفيده في الإجراءات النقدية وكشف العمق في تحليل النصوص وشموليته.

● هل ترى أن هناك ثغرات لم تسد ومواضيع لم تنل حظها في النثر الأدبي، في الجانب النقدي أو الإبداعي؟ وماذا ترون في قصيدة النثر؟

■ النثر العربي يمكن تطويره والولوج فيه في غير المشهور منه، والقرآن الكريم رائده، وإذا كان الغرب عرف المسرح والرواية فالأدب العربي عرف الخطابة والرسائل والمقامة والمفاضلة بين الأشياء، وغير ذلك من الأساليب التي إذا ما تم نبشها والحرث فيها أنبتت أساليب نثرية تلائم العصر، وربما تشرّف الأدب العربي عالمياً.

وإنه لمن المؤسف أن تنحدر القصيدة الشعرية إلى النثر، ليس هذا تجديداً فيما يسمى قصيدة النثر، النثر أكثر انفلاتاً من الشعر فلماذا لا يكون التجديد في النثر ذاته، وقد قيل قديماً يأتي الشعر حين يعجز النثر.

لماذا لا تكون ساحة النثر هي ميدان الفروسية للجميع المبتدئ والمتقدم ؟! وتبقى ساحة الشعر للعباقرة الكبار الذين تعجز أحياناً اللغة ذاتها عن التعبير عما في خيالهم.

الأدب والتاريخ

● ماذا يضيف الأديب عند تناوله لنص تاريخي ؟ أو ما الحدود التي يجب ألا يتعداها؟

■ عندما يختار الأديب نصاً تاريخياً، يصبح هذا النص ملكاً له لا للمؤرخ، كل جزئية تدخل النص الأدبي تصبح مادة جديدة لغاية جديدة، والذي يبحث عن المادة التاريخية يجب عليه أن يبحث عنها في مصادرها التاريخية لا في النصوص الأدبية ومن ثم يجد المبدع نفسه مضطراً - أحياناً - إلى التصرف في المادة التاريخية لسبب بسيط وهو أنه لا يريد أن يقدم نفسه للقارئ مؤرخاً بل مبدعاً فوق المؤرخ وأقل ما يقال في التصرف: إن زمن الأحداث القصصية غير زمن الأحداث التاريخية، وإنها في العالم القصصي خادمة لرؤية الكاتب وليست كذلك في أصلها التاريخي.

● أي الفنون الأدبية تراها أبلغ تأثيراً وتوجيهاً في ظل القنوات الفضائية ومواقع الإنترنت ؟

■ هذه التقنيات المرئية من قنوات فضائية ومواقع إلكترونية ستكون لها الصولة والجولة في المستقبل إنها تحتوي الفنون الأدبية، لأن فيها من وسائل الإبداع ما يستحق ظهور جيل جديد ممن يتخصص في نقدها لأنها آلية جديدة للوصول إلى جمهور أكبر بتكلفة أقل وربما مجانية كالمواقع الإلكترونية. أتوقع أن يعيد المبدعون حساباتهم في مخاطبة جمهورهم المنصرف عنهم إلى هذه التقنيات الحديثة وربما رحلوا إلى هذا الجديد الأمر الذي سيؤدي حتماً إلى تغيير الأذواق الفنية تغييراً كبيراً.

● كثيراً ما يؤخذ على الأدب طغيان الجانب الفكري على حساب الشكل الفني، كيف يمكن للأديب أن يوازن بين الفكر والإبداع؟

عندما يختار الأديب نصاً تاريخياً، يصبح هذا النص ملكاً له لا للمؤرخ. كل جزئية تدخل النص الأدبي تصبح مادة جديدة لغاية جديدة.

■ ذلك يعود إلى ضعف الإبداع الناتج عن ضعف العبقرية، لا يريدون أن يتعبوا في الإبداع، فيلتقطون المواضيع السهلة الواضحة ويعرضونها بسرعة بأسهل الطرق التعبيرية.

إن البحث عن الفكرة الجديدة يحتاج إلى تعب والبحث عن الشكل المتميز يحتاج إلى جهد أكبر، وأنصح المبدعين وهم يقرؤون لأشهر المبدعين أن يتأملوا كيف وفقوا في تقديم رؤى جديدة وإنشاء أساليب جديدة، فالرؤية الجديدة والشكل الجديد هما جناحا الطيران إلى عالمية الأدب.

د . البابكري في سطور :

الاسم: د / أبوبكر صالح البابكري

محل وتاريخ الميلاد : مواليد مدينة حبان محافظة شبوة في الجمهورية اليمنية عام ١٩٦٢م

المؤهلات العلمية:

ليسانس لغة عربية كلية الآداب جامعة صنعاء ١٩٨٥م

ماجستير جامعة صنعاء ١٩٩٤م

دكتوراه جامعة عين شمس مصر ١٩٩٩م

المهنة: أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة صنعاء

الرئيس السابق لفرع رابطة الأدب الإسلامي العالمية في اليمن.

الحالة الاجتماعية: متزوج وأب لثلاث بنات وثلاثة أبناء

من مؤلفاته :

روايات باكثير التاريخية دراسة تحليلية (رسالة الماجستير) صدرت طبعتها الأولى عن جامعة صنعاء ٢٠٠٦م.

البناء الفني في مسرح باكثير (رسالة الدكتوراه).

من أنا ؟

شعر : إبراهيم العمري - السعودية

وخطتْ
على الرمل الذليلِ
طفولةً
ورستْ
على وهم الحياةِ
جريحةً
وتفلسف المأفونُ
عن عمق الظلامِ
وللخديعةِ
قصةٌ
والحق زيفٌ
والجرائم أوسمةْ
وتكاثرت
حولي القيودْ
وظللت
أقبع في الحدودْ
وتضايقت
دنيا الأديب الحرِّ
واختار الصمود ..
فمن أنا ؟!
خلف الحواجزِ
لا أثورْ
ويخيفني
حس الظهورْ
يمتصني
رمل كسيرْ
من أنا ؟